الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

اسم المحاضرة: الأحزاب السياسية

اسم المحاضر: الدكتور فراس سعد الدين

الأكاديمية العربية الدولية – منصة أعد

الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

محاور المحاضرة

- المقدمة
- نشأة وتعريف الأحزاب
- وظيفة الأحزاب
- أنواع الأحزاب
- تكوين الأحزاب (عضوية- قيادة)
- قيادة الأحزاب
- اختيار وسلطة القادة
- الأحزاب السياسية والسلطة والتمثيل
- النظم السياسية والأحزاب
- الخاتمة

المقدمة

تعتبر الأحزاب جزء من أي سياسة معاصرة، بل باتت الأنظمة السياسية تصنف وفق الواقع الحزبي بداخلها من تعددي أو ثنائي أو أحادي، برلماني أو جماهيري ، شيوعي أو فاشي، رئاسي أو برلماني، بدلاً من التصنيف الكلاسيكي الذي ورثه الفكر السياسي عن اليونان من ديمقراطي ، أوليغارشي ، ملكي أو مختلط ، بالتالي لم يعد بالإمكان تصور حياة سياسية معاصرة دون أحزاب سياسية، أو وجود حياة ديمقراطية ونشاط انتخابي دون تنافس حزبي وتعبئة حزبية ، ودون الترويج لبرامج وقيم ومبادئ متنافسة ، والتي هي أساس التواصل بين القاعدة المجتمعية من جهة والنخب المرشحة والأحزاب الطامحة للوصول إلى السلطة من جهة أخرى، بحيث يكون التنافس والمواجهة بين مختلف القوى وجماعات المصالح على الصيغة الأفضل للحكم وعلى البرنامج الأكثر تعبيراً عن تطلعات الناس وآمالهم ومحفز ومحرك للعملية الانتخابية وأرضية للحياة السياسية وضابطة لممارسة السلطة وصنع القرار.

على العموم ومن دور الأحزاب في تفعيل العملية الديقراطية فقد بقيت الأحزاب تحمل بطبيعتها صفة متناقضة فهي من جهة هيئة منظمة يفترض بها أن تعبر عن تطلعات الناس وتمثل قضاياهم وتنقل همومهم بشفافية وأمانة، وهذا ما تفترضه صفة التمثيل، وهي من جهة أخرى تحمل أجندتها الخاصة وشبكة مصالحها ومعتقداتها الذاتية، وتعمد إلى استقطاب الجماهير على أساساها، وإدارة حملات انتخابية لكسب التأييد والولاء لشخصية مرشحة، تكون منابرها ووسائل إعلامها أدوات أيدلوجية وتوجيهية ، وبالتالي بدلاً من دور الحزب في نقل توجهات المجتمع ومطالبه بصياغتها صياغة قانونية أو سياسية وتحقيقها عبر برامج مدروسة ، يعمد الحزب إلى إقناع الناس بمعتقداته وبرنامجه وقياداته ، أي ممارسة إملاء ضمني على المجتمع، بطريقة الدعاية والترويج والبيانات والخطب الجذابة، لما يراه مناسباً في طريقة الحكم ولصالح الشخصيات المقترحة للعمل السياسي.

نشأة وتعريف الأحزاب

يرتبط ظهور الأحزاب بنمو الديمقراطية واتساع الاقتراع الشعبي الام والامتيازات البرلمانية التي كانت موجودة، فكلما وجدت المجالس السياسية وظائفها واستقلالها يكبران، كلما شعر الأعضاء بالحاجة إلى التكتل تبعاً للتجانس والتشابه بغية العمل بصورة جماعية، وكلما انتشر الحق في الاقتراع كلما دعت الحاجة إلى الإحاطة بالناخبين من قبل لجان قادرة على التعريف بالمرشحين وعلى توجيه الأصوات نحوهم.

وبشكل عام فإن ملامح ظهور الأحزاب السياسية بالمعنى الحديث للكلمة بدأ مع ظهور النظم التمثيلية التي انبثقت في بريطانيا العظمى والولايات المتحدة الامريكية ثم في فرنسا في القرن الثامن عشر، حيث كان النواب يتجمعون في مجالسهم التمثيلية بصفة غير رسمية ومع توسيع دوائر الاقتراع والمقترعين بدأ تنشأ كتل برلمانية في الخارج ليتمكن المرشحون من التعرف بشكل صحيح على الناخبين بتزايد عددهم باستمرار وليتم إيصال برنامجهم لأكبر عدد ممكن من الناس.
بهذا فإن نشأة الأحزاب متعلقة بنشأة الكتل البرلمانية، ثم بظهور اللجان الانتخابية التي هدفت إلى تسجيل الناخبين الجدد وتنظيم حملة المرشح للانتخابات، وفي فترة لاحقة دمجت الكتل البرلمانية واللجان الانتخابية في بنية حزبية مرنة بما فيه الكفاية لتتواجد على المستوى الوطني العام، وتبلور نتيجة لذلك ما سمي بحزب الأطر ومن أهم نماذجه الحزبين الديمقراطي والجمهوري في الولايات المتحدة وحزبي المحافظين والعمال في بريطانيا.

نشأة وتعريف الأحزاب

في منتصف القرن التاسع عشر أيضاً بدأنا نشهد ولادة جيل آخر من الأحزاب نتيجة نمو المسألة الاجتماعية وانبثاق الحركة العمالية، أي تجمعات تعكس أزمة العلاقة بين الرأسمالي المستغل والأجير المستغل، وتطالب بتحسين الظروف المعيشية التي وصلت حداً مهنياً في المدن والقطاع الإنتاجي، وكان من أهم النتائج المبكرة لهذه الأحزاب "الرابطة العامة للعمال الألمان " ثم تولد بعد انصهار هذه الرابطة مع تنظيمات أخرى الحزب الاجتماعي الديمقراطي الألماني عام 1875، ليصبح نموذجاً للأحزاب الاشتراكية الأخرى التي ستظهر في كل مكان في أوروبا حتى الحرب العالمية الأولى وستظهر هذه التشكيلات المرتبطة بالمنظمات النقابية بطريقة منظمة لغرض تزويد الحركة العمالية بأدوات خوض المعركة الانتخابية.

قبل سنة 1900 كانت غالب الأحزاب السياسية ذات نشأة برلمانية ، إلا أنه منذ بداية القرن العشرين أصبحت نشأة الأحزاب خارج البرلمان هي القاعدة وارتدت النشأة البرلمانية طابع الاستثناء.

ويمكن تعريف الأحزاب على أنها مجموعة من الأشخاص جمعتهم مصالح أو معتقدات مشتركة أو ينادون بمذهب سياسي واحد، نظموا أنفسهم وعبئوا مواردهم لغرض ممارسة السلطة السياسية.

بمعنى أن الأحزاب السياسية لديها مشروع سياسي لتحقيقه أو قضية كبرى لتخدمها، ولديها موارد ومصالح مشتركة تضعها لخدمة مبادرا وأعمال الحزب على المسرح السياسي، من أجل تحقيق أهدافها العامة والخاصة والوصول إلى السلطة، كما أن لديها حداً أدنى من صفة المؤسساتية أو التنظيم ، تتمثل في جهاز إداري وهيئة موظفين دائمين .

وظيفة الأحزاب

تقوم الأحزاب السياسية بوظائف مشتركة وبفعالية متفاوتة فيما بينها :

- **الوظيفة الانتخابية**: فالمظهر الأكثر بروزاً لنشاط الأحزاب في النظم الديمقراطية التعددية ، أن تكون الوظيفة الأولى هي انتقاء المرشحين للانتخابات المحلية والوطنية، ومع دخول المعركة الانتخابية يكفي لتمييز الأحزاب عن مجموعات المصالح أو منظمات المجتمع المدني.
- في الممارسة الفعلية قادة الحزب ورموزه يلعبون الدور الجوهري في اختيار المرشحين ، أما الأعضاء المحليون ينفذون هذا الاختيار .
- تقوم الأحزاب بتمويل الأحزاب في العملية الانتخابية .
- تعبئة الدعم من أجل مجابهة المعركة الانتخابية في أفضل الشروط.
- **الجدل السياسي:** حيث تساهم الأحزاب في تكوين الإرادة العامة وفي التأثير على الرأي العام وترشيده .
- تبنّي التوقعات الاجتماعية من الأحزاب من خلال العمل الميداني ، من اجل الإصغاء إلى شكاوى الناس وتقديمها على هيئة مشروع سياسي.
- مناقشة البرنامج من قبل الحزب وتبنيه آثاراً رمزية مهمة يولد قناعة لدى الرأي العام بجدية الحزب وحرفيته.
- يعتبر الجدل السياسي ركناً من أركان الديمقراطية التعددية.

أنواع الأحزاب

تمتاز بنية الأحزاب باختلاف طبيعتها، ويمكن إجراء تصنيفات عدة للأحزاب اعتماداً على جهة أو زاوية التصنيف،

- فهناك تصنيف يقوم على مدى جدية الحزب في التزامه بمقولاته الفكرية والعقائدية، فصنفت تبعاً لذلك أحزاباً ايديلوجية وبراغماتية، وأحزاب أشخاص، أما الأحزاب الأيديولوجية أو أحزاب البرامج فإنها تتمسك بمبادئ أو ايديولوجيات وأفكار محددة ومميزة، ويعد التمسك بها وما ينتج عنها من برامج أهم شروط عضوية الحزب.
- أما الأحزاب البراغماتية: تتصف بوجود تنظيم حزبي له برنامج يتصف بالمرونة مع متغيرات الواقع، أي إمكان تغيير هذا البرنامج أو تغيير الخط العام للحزب وفقاً لتطور الظروف.
- أما أحزاب الأشخاص: فهي بحسب تسميتها ترتبط بشخص أو زعيم، وهذا الشخص هو الذي يؤسس الحزب ويوقده ويحدد مساره ويغير هذا المسار دون خشية من نقص ولاء بعض الأعضاء له.

من جهة أخرى اعتمد أكثر باحثي الأحزاب السياسية تصنيف آخر ميزوا فيه بين أحزاب الإطار من جهة والأحزاب الجماهيرية التي تشمل الأحزاب الاشتراكية والشيوعية والفاشية من جهة أخرى، وهذه الأحزاب تتواجد معاً في عدة بلدان خاصة في غرب أوروبا حيث انبثقت الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الأحزاب الليبرالية والمحافظة.

ولا ننسى بعض الأحزاب التي لا ندرج ضمن أي من هذا التصنيف.

أنواع الأحزاب

- **حزب الإطار:** وهي أحزاب تسيطر عليها جماعات من النخب السياسية الناشطة ، وسيطرت هذه الأحزاب على سياسة أوروبا في القرن التاسع عشر حيث مارست سلطة عبر النشاط الانتخابي والبرلماني، وهي ما زالت مستمرة في أوروبا .
- **الأحزاب الجماهيرية:**

1- الحزب الشيوعي: وهي بقايا منشقة عن الأحزاب الاشتراكية، ثم سلكت النهج السوفييتي وأصبحت أحزاب جماهيرية ، تستند إلى عضوية أكبر عدد من المواطنين على الرغم من اقتصار العضوية على الذين تعرفوا على العقيدة الماركسية اللينينية وتبنوها.

2- الأحزاب الفاشية والنازية: وتشترك هذه الأحزاب برفض انقسام المجتمع إلى طبقات أو فئات اجتماعية أو هويات متنافسة ، كما تفعل الأحزاب الشيوعية التي تقسم المجتمع إلى طبقتين متناحرتين طبقة عاملة وطبقة رأسمالية ، فهي تدعي لنفساها التعبير عن وحدة الامة والدولة والشعب لكنها وحدة تكثفت وتركزت بيد زعيم واحد "مثل هتلر وموسيليني".

تكوين الأحزاب (عضوية- قيادة)

لتكوين الأحزاب أهمية كبيرة في تحديد العضوية ومستوى الالتزام بداخلها ومراتب الاتباع، وانتقاء القادة، وتحديد مساحة سلطاتهم، ويفسر أيضاً قوة بعض الأحزاب وفاعليتها وضعف الأحزاب الأخرى وعدم فاعليتها.

- **عضوية الحزب:** لكل حزب مفهوم خاص للعضوية فتجد أن الفرق بين أحزاب الأطر وأحزاب الجماهير ليس في الضخامة بل في التركيب، حيث تتوجه هذه الأخيرة إلى الناس والعامة التي تدفع الاشتراكات وتتلقى التثقيف السياسي لتتعلم كيف تتدخل في حياة الدولة.

أما أحزاب الأطر فتهتم بتجميع الوجهاء لإعداد الانتخابات وتوجيهها والمحافظة على الاتصال بالمرشحين، فالوجهاء النافذون يستخدمون كضمان للمرشح في كسب الأصوات.

1. **الناخبون** : وهم الحلقة الأوسع وتشمل الذين يصوتون للمرشحين الذين يقدمهم الحزب للانتخابات العامة أو المحلية ، تمتاز هذه الفئة بأنها سهلة العد.
2. **المحبذون**: وهم أكثر من منتخبين ويعترفون بميلهم نحو الحزب ويدافعون عنه ويساندونه بالمال، وقد يشتركون بمؤسسات الحزب الفرعية.، وهو أكثر من ناخب وادنى من متسب،، وهو كالناخب يعطي صوته للحزب ولكنه لا يقف عند هذا الحد بل يعلن موافقته للحزب بل يعلن موافقته للحزب وتفضيله سياسياً.

تكوين الأحزاب

3. المنتسب: ويشمل أعضاء وعناصر تكوينه فهم منظموه ومسيروه، الذين يؤمنون الدعاية له ويوفرون دعم لنشاطه العام، في أحزاب الإطار يكون الانتساب غير موجود، أما في الأحزاب الجماهيرية فإن الانتساب يكون منظماً، ويخضع لشكلية من الالتزام ودفع الرسوم واعتناق عقائد الحزب ومبادئه.

4. المناضلون: وهذا المصطلح يدل على المنتسب العامل الذي يشكل النواة لكل مجموعة أساسية في الحزب، بسبب الالتزام الجدي والمنتظم بحضور الاجتماعات، والمساهمة في نشر التعليمات، ودعم الدعاية وتنظيمها والإعداد للحملات الانتخابية، ويجب هنا عدم الخلط بين المناضلين وبين القادة فالمناضلون ليسوا رؤساء بل منفذين وبدونهم يستحيل وجود تنفيذ حقيقي ممكن.

قيادة الأحزاب

أحلت الثورة الفرنسية الشرعية الديمقراطية محل الشرعية الملكية وخلال قرون بدأ طبيعياً أن تأخذ الأحزاب بعين الاعتبار لتكون قيادتها مختارة عن طريق الانتخاب، أما الشيوعية فبقي أساس الشرعية لديها هو الانتماء إلى الطبقة العاملة لممارسة السلطة في حين تواجه الفاشية شرعية الانتخاب بشرعية أرستقراطية، فالسلطة يجب أن تكون لأولئك الذين يستطيعون وحدهم حملها نتيجة مواهبهم الطبيعية.

وعلى الرغم من أن الأحزاب تأخذ الديمقراطية بعين الاعتبار، إلا أن الفعالية العملية تحملها بشدة على تطبيق العكس فالمبادئ الديمقراطية تقضي بانتخاب القادة على كل المستويات، إلا أن ضرورات المنافسة والصراع السياسي تفرض على الحزب ممارسة أوتوقراطية مبطنة تشبه أوتوقراطية الأحزاب التي تواجهها أو تنافسها لضمان تماسك الحزب وصموده، وهذا يصبح متاحاً حين لا يرفض المنتسبون إلى هذه الأحزاب تعزيز القادة لقيادتهم ولا يقيمون بوجههم العراقيل لزيادة صلاحياتهم بل يعززون ذلك بالإعلاء من شأنهم وتصويرهم على أنهم قادة استثنائيون وموهوبون.

اختيار وسلطة القادة

هناك أوتوقراطية معلنة توجد في الأحزاب الفاشية أو الشبيهة بها وهي الاستثناء، وهناك أوتوقراطية مقنعة وهي القاعدة والتي يمكن إيجادها في أكثر الأحزاب، بما فيها ذات الطابع الديمقراطي.

إن نمو السلطة وتشخصن السلطة ظاهرتان ملحوظتان لدى الكثير من المجموعات الإنسانية ليس في الأحزاب فقط، لقد كان هذا واضحاً في الأحزاب الاشتراكية والشيوعية وكان بارزاً في الفاشية التي قلبت الاتجاه رأساً على عقب، وكانت أول من نمى عبادة الزعيم والتركيز على شخصه وعلى وظيفته، السلطة بالنسبة إلى هذه الأحزاب تستمد من الزعيم لا من الانتخابات، وسلطة الزعيم تأتي من شخصيته وصفاته الفردية.

وانتهى الحال بالأحزاب الشيوعية إلى سلك الطريق نفسه فقلبت نهجها القديم تحت تأثير أسباب مختلفة.

وهذه الظاهرة لم تقتصر على الأحزاب الشيوعية بل عممت على كل الأحزاب الثورية والنضالية وحركات التحرر .

الأحزاب السياسية والسلطة والتمثيل

لجميع الأحزاب وظيفة واحدة سواء كانت محافظة أم ثورية أحادية أم متعددة وهي ممارسة السلطة السياسية سواء أكان عبر تشكيل حكومة أو ممارسة دور المعارضة وهي وظيفة أساسية في تحديد الحزب وتعريفه.
ومن الممكن تمييز الأحزاب الثورية التي تعمل على حيازة السلطة عن طريق العنف ولكن هذا لا يمنع من وجود أحزاب مثل الأحزاب الشيوعية أن تحوز السلطة عبر الانتخاب في الوقت نفسه كانت تطور نشاطاً تحت الأرض ذو طبيعة ثورية، وكانوا أحياناً يوظفون تقنية المؤامرة.

لقانون الاقتراع في الحياة السياسية تأثير ضخم على أساليب وجود الأحزاب، ففي نظم الحزب الواحد يكون اللجوء إلى الاقتراع لمنح الحكام الصفة الشرعية واختبار قدراتهم على تأطير الناخبين فقط، في حين يشكل الانتخاب في النظم التعددية اللحظة القوية في المنافسة بين التشكيلات المهتمة بالوصول إلى السلطة أو البقاء فيها.

الأحزاب السياسية والسلطة والتمثيل

وفي السياق ذاته يمكن التمييز بين الأحزاب الإدارية التي تدور في فلك السلطة والأحزاب الاحتجاجية:

- **فالأولى** تقيم بالقرب من السلطة ومهيأة وفق تقلبات التناوب الديمقراطي لتشكل أغلبية أو تدخل في تحالف حكومي، وهذه الأحزاب وبحكم توقعها المستمر لتولي المناصب السياسية وممارسة السلطة، فإن لغتها واستراتيجيتها تتحدد تبعاً لواقعها.

لا تقدم وعود لا يمكن الإيفاء بها، ولا تحرض على الدولة ومؤسساتها وتبتعد عن الراديكالية في الطرح ليكون بإمكانها كسب أكبر عدد من الأصوات والناخبين.

- **أما الثانية** الأحزاب الاحتجاجية فتولد من الرفض وتشق لنفسها طريقاً داخل الناخبين من خلال استقطاب الاستياء أو الكبت، الأمر الذي يلون لغتها السياسية بالانفعالية، هذه الأحزاب تنطق في الغالب باسم مجموعات مضطهدة أو مستبعدة من اللعبة السياسية، لهذا تسعى إلى فرض نفسها في المشهد السياسي من خلال تبني لغة فظة

النظم السياسية والأحزاب

يشكل النظام الانتخابي عنصراً من العناصر المكونة لنمط الأحزاب لأن طريقة الاقتراع توجه كل أحزاب البلد في الاتجاه نفسه وبالعكس، فإن نمط الحزب يلعب دوراً رئيسياً في النظام الانتخابي، حيث تساعد الثنائية على تبني الاقتراع الأكثري ذي الدورة الواحدة ، في حين يستبعد الاقتراع الأكثري الأحزاب الأحدية فنمط الأحزاب والنظام الانتخابي واقعتان متلازمتان ومتلاحمتان.
لذلك فإن صحة التمثيل السياسي رهن بالنظام الانتخابي وبنمط الأحزاب لأنهما كنعصرين من المركب ذاته.
إن الاقتراع النسبي يساعد على قيام نظام الأحزاب المتعددة والصلبة والمستقلة والمستقرة، أما الاقتراع الأكثري ذو الدورتين فيساعد على قيام الأحزاب المتعددة المرنة المترابطة والمستقرة نوعاً ما.
الاقتراع الأكثري ذو الدورة الواحدة يساعد على قيام نظام ثنائي للأحزاب، حيث يتعاقب على السلطة أحد الحزبين الرئيسيين، في حين استطاعت الدكتاتوريات أن تعيد بناء نفسها من خلال نظام الحزب الواحد، حيث يتقدم المرشح في الحزب الواحد لا ليستمد مشروعيته بل لينتزع تأييد الأغلبية له وثقتهم ورضاهم، والتي يفترض أن تتجاوز 99 بالمئة.
لقد أدى نمو الأحزاب في القرن العشرين، إلى أحداث تحول عميق في كيان الأنظمة السياسية، فكما كانت الديكتاتوريات المستندة إلى الحزب الواحد لا تشبه إلا من بعيد أنظمة الحكم الشخصية أو العسكرية التعسفية، كذلك فإن الديمقراطيات الحديثة المرتكزة إلى التعددية في الأحزاب المنظمة والمنضبطة مختلفة تماماً عن أنظمة الحكم الفردية خلال القرن التاسع عشر.

النظم السياسية والأحزاب

إن إحلال نظام يقوم على أحزاب سياسية محل نظام يخلو من الأحزاب السياسية دفع إلى إعادة النظر الكامل في التحليلات التقليدية للأنظمة السياسية فالتمييز بين النظام الرئاسي والبرلماني، يوشك أن يصبح دون معنى، إذ تجد النظام الإنكليزي بعيداً عن النظام الفرنسي والأمريكي على الرغم من التشابه الظاهر في المؤسسات ومفاهيم الوزارة ومسألة الثقة والمسؤولية السياسية، ولكنها لا تحمل المعنى نفسه في ظل النظام الحزبي الثنائي والتعددي والأحادي.

لذلك فجر نمو الأحزاب التقسيمات القديمة للأنظمة السياسية والمستوحاة من أرسطو أو مونتسكيو، حيث لم يعد التناقض الكلاسيكي بين النظام البرلماني والنظام الرئاسي، ونظام سيطرة المجلس النيابي يشكل محور الحقوق الدستورية المعاصرة، بقدر ما باتت الأنظمة تتقارب وتتباين بحسب النظام الحزبي.

الخاتمة

بما أن **الحزب السياسي يعمل في الأساس كوسيط بين أفراد الشعب ونظام الحكم في الأنظمة الديمقراطية بأنواعها،** فإن الأحزاب المختلفة يكون لها أدوار رئيسية ومهمة في ذلك الشكل من أشكال الحكم، أهمها صياغة احتياجات ومشاكل المواطنين وطرح مقترحات لحلها وتقديمها إلى الجهات الحكومية المختلفة بصورة قانونية، وتنظيم نشاطات توعية وتثقيف للناخبين حول النظام السياسي والانتخابات والدعاية لرؤية الحزب لتقدم الدولة، كذلك تعمل الأحزاب على نشر الدعاية بين المواطنين لأفكارها وترشيح ممثليها في الانتخابات